التطور التاريخي لمهنة التمريض

المحتوى:

1. مقدمة
2. لمحة تاريخية
3. الطب القديم والعناية التمريضية
4. التمريض في العصور الوسطى
5. التمريض عند العرب
6. التمريض في العصور الحديثة

مقدمة:

يعتبر التمريض اليوم علما ومهنة متطورة وحيث أصبح ركنا أساسيا من أركان الخدمات الصحية فالممرض أكثر العاملين الصحيين احتكاكا بالمريض وصلة به، وتقع على عاتقه مسؤوليات كثيرة. والمجتمع اليوم ينظر الى الممرض نظرة ملؤها التقدير والاحترام ويرى التمريض مهنة من أنبل المهن وأكثرها انسانية وبات الانتماء لها مصدر فخر واعتزاز وذلك للدور الهام الذي تقوم به في رفع المستوى الصحي.

تشتق الكلمة الانكليزية Nurse من الفعل اللاتيني Nutris وتعني التغذية والعناية، وتشتق الكلمة العربية ممرض من الفعل الثلاثي مرض أي أصابه المرض وتغيرت حالته الجسمية أي أن كلمة ممرض تشير الى من يعتني بالمريض. نعتقد تمام الاعتقاد أن الممرضة الأولى هي الأم، وعليه فان التمريض بهذا المعنى هو العناية واذا أخذنا بالنظريات التطورية للمجتمع فعلينا أن نخرج من نقطة انطلاق وهي أن المجتمع الانساني الأول كانت تسوده سلطة الأم قبل أن يتطور الى المجتمع ذو السيادة الأبوية، وفي كلا المجتمعين تبقى العناية بالأطفال والبيت والمرضى والصحة العامة واجب الأم.

لمحة تاريخية عن التمريض:

بالرغم من أن التمريض يعد علما حديثا نسبيا، الا أنه من حيث الممارسة الفعلية قديم قدم الانسان ويمكن اعتباره من أقدم العلوم الانسانية. فقد كان هناك دائما في مختلف العصور أطفال ومسنون غير قادرين على العناية بأنفسهم، كما كان هناك فاقدي البصر وآخرين مضطربين نفسيا وعقليا، كما لم يخلو العالم منذ أقدم العصور من امرأة في دور الولادة والعناية بهؤلاء تعني في حقيقة أمرها التمريض في المفهوم الحديث. فالتمريض في أصله نابع من العطف ومن هنا نستطيع القول أن الدافع الحقيقي للعناية بالآخرين هو تطور لغريزة طبيعية خلقها الله في الانسان.

ان ما وصلنا عن التمريض في العصور القديمة قليل جدا وخاصة كوظيفة اجتماعية قائمة بذاتها، ولا توجد لدينا الا بعض القصص القصيرة حول رجال ونساء قاموا بنشاطات يمكن أن نعرفها بالنشاط التمريضي الحديث. وربما لم يوجد التمريض المنظم قبل نشوء الكنيسة المسيحية، الا أنه يمكننا القول أن جانب العناية كان أسبق من جانب الشفاء والمعالجة في الصحة. وبما أن أغلب ما لدينا

يتحدث عن الطب فانه بإمكاننا التعرف على عملية تطور التمريض من خلال مراجعة تطور الطب ودراسة معلومات العناية الصحية في العصور القديمة.

لازم التمريض الطب منذ البداية وتمازجا حتى أصبحا جزأين لشيء واحد يكمل كل منهما الآخر فلا قيمة لطب (علاج) بدون تمريض (رعاية)، ولا يمكن فصل تاريخهما عن تاريخ الانسانية منذ نشأتها. وعلى الرغم من تلازمهما وتمازجهما الا أن لكل منهما خصائصه ومميزاته وقواعده وتعليماته. كان الانسان القديم يعيش في الكهوف حيث تتجمع جماعات صغيرة عند بعضها بعضا بهدف الحماية المتبادلة والحفاظ على السلامة العامة، ويبدو أن الانسان كان يصل الى معرفته من خلال تجربة الحياة وملاحظة الأنواع المتدنية من الحيوانات كذلك فقد تعلم الانسان القيم الطبية اما بالصدفة أو عن طريق التجربة..

الطب القديم والعناية الصحية:

اقتصرت الممارسة الطبية في بداية العصور القديمة على السحر والشعوذة أي استعمال القوة المستمدة من الأرواح لطرد الأرواح الشريرة التي يعود اليها المرض حسب اعتقادهم. نشأت في مصر حضارة من أقدم الحضارات التي كان لها معرفة بالطب ومعالجة المرضى والمصابين، وقد وجدت برديات خط عليها بعضا من انواع العلاجات يعود تاريخها الى سنة 4800 قبل الميلاد، وأخرى توضح بدقة بعض القواعد الأساسية المعروفة في يومنا هذا مثل كون النبض هو صوت القلب ومعلومات عن الشلل الجزئي الذي يعقب أمراض الرأس وكسور الجمجمة وكثيرا من الوصفات المجهزة من الأعشاب. كما وجدت نقوش على جدران المعابد تتضمن طرقا لعلاج مختلف الأمراض وطريقة الولادة ولا شك أن تطورا كهذا صحبه تقدما مماثلا في مجال التمريض ووجود نوع من التدريب على أعمال التمريض لمواجهة متطلبات العلاج.

تعاقب على منطقة بلاد مابين النهرين قبل الميلاد عدة حضارات (السومريون، البابليون، والآشوريون) وكان الطب والجراحة مهن منظمة تحت قانون حمورابي وكانت العقوبات مثبتة ان فشل الممارس في شفاء المريض. وكان الطب يعتمد على استقراء النجوم وضرب الرمل وتأويل الأحلام. وكان المرض يعتبر لعنة من الآلهة وعقابا على أفعال يرتكبها الانسان لا ترضى عنها الآلهة ومن هذا

الاطار الفكري يمكننا أن نتصور عدم الحاجة الى تمريض بالمفهوم الذي كان موجودا عند قدماء المصريين.

وبسبب وضع الأبجدية الاغريقية الكاملة والافادة من طب المصريين القدماء وطب بلاد مابين النهرين حدثت نهضة كبيرة جدا في العلوم الطبية. وقد استطاع أبو قراط أن يضع قواعد لقانون ممارسة الطب يعمل بها حتى يومنا هذا. وهو الذي اكتشف أن سبب المرض ليس الأرواح ولكن كسر القوانين الطبيعية، وقد أكد على الملاحظة الدقيقة للمرضى وفهم معنى تعبير الوجه ونوعية التنفس وأوصى باستعمال الموسيقى لعلاج الأمراض العقلية وهي ما نعتبره اليوم من الوسائل الحديثة للعلاج. كان مفهوم العناية الكلية بالمريض كما يمارسها الممرضون في القرن العشرين من وصايا أبو قراط حيث قرر من خلال فرضيته أنه "عندما نريد علاج عين المريض يكون علينا أن نعالج الجسم بكامله". وقد انصبت تعليماته في التمريض على: ضرورة غسل اليدين، العناية بنظافة الأظافر بحيث لا تكون طويلة أو قصيرة عن الأصابع، اضافة الى استعمال الماء المغلي في تنظيف الجرح وعمل الغيار عليه، وكان يركز في التمريض على النفس قدر التركيز على الجسد.

ومن خلال استعراض الممارسات الطبية القديمة يتبين أنها أقرب الى التمريض بالمفهوم الحالي منها الى الطب. فعلى الرغم من جميع المعلومات حول معرفة القدامى بالجراحة وعلم الأمراض والتشخيص وغيرها، الا أن العناية الصحية كانت عناية تمريضية أول الأمر. ولا بد من الاشارة هنا الى أن هذا التاريخ قد تناسى الطب بين الشعوب العربية مثل الكنعانيين والآشوريين وغيرهم من الشعوب العربية التي أقامت حضارات متقدمة في الشرق الأوسط وسوف نرى كيف أن التاريخ التمريضي والطبي الذي كتبه الغربيون تناسى ما قدمه العرب والمسلمون لتقدم الطب والتمريض والعناية الصحية بأكملها ولا يذكرون منها الا مالا يقدرون على تفاديه.

التمريض في العصور الوسطى:

التمريض في أول عهد المسيحية:

لقد دعت المسيحية في تعاليمها الى المحافظة على حياة البشر وحرمت الاجهاض وقتل الأطفال المشوهين أو غير المرغوب بهم بالإضافة الى التسامح والعطف على الفقراء والمرضى

وعليه فقد تم انشاء مؤسسات تدعى الديكونيس تقدم الرعاية الطبية والاجتماعية وأعطى الرهبان مسؤولية رعاية المرضى والفقراء وأعطيت الأرامل مسؤولية رعاية الأطفال والمسافرين وتعتبر القديسة فوبي أول ممرضة زائرة (صحة عامة) للاستفسار عن صحة المرضى في منازلهم والعناية بهم وقد أسست القديسة فابيولا أول مستشفى عام في روما وقد تبعتها القديسة باولا وكانت أكثر النساء ثقافة في عصرها وقد رحلت الى فلسطين وأقامت مستشفى للمرضى وملجأ للحجاج على طريق الحج الى بيت لحم ولذلك ظل التمريض لأجيال متعددة مرتبطا بالتعاليم الدينية. وبعد ذلك سادت الفوضى والحرب البربرية لعدة قرون في أوروبا حتى جاءت نهضة الشرق التي امتد أثرها الى الغرب فأسهمت نهضته اسهاما كبيرا في نهضة التمريض.

التمريض عند العرب:

- **التمريض قبل ظهور الاسلام:**

كان يقوم بمهام الطب والتمريض قبل ظهور الاسلام شخص واحد وكان هناك سيدات من أرقى العائلات يقمن بالتطبيب ومن بينهم "بنت عامر بن الظرب" و"زينب بنت أود" وكانت خبيرة بالعلاج ومداواة العين والجراحات.

- **التمريض في فجر الإسلام:**

كانت العصور الإسلامية الأولى عصور فتوحات ونشر ديانة في أول الأمر، وربما كانت الحياة الحربية هي الدافع الأول لتطور مهنة التمريض والتضميد لأن الحاجة إليها في الحرب كانت ماسة. وتقدم لنا التعاليم الدينية نوعين من العناية الصحية: الوقائية فيما يتعلق بالطعام والشراب وكيفية الجلوس إلى المائدة والطهارة وغيرها، والعلاجية وما يختص منها بالعناية بالمرضى والمستنجدين. كانت المرأة العربية عنصرا فاعلا في المجتمع كما ساهمت في الخدمة الاجتماعية إلى درجة بعيدة. وكانت فضليات النساء يواكبن الحرب ويعتنين بالجرحى ويتخذن هذه الأعمال قياما بالواجب وحبا بالتضحية والمشاركة بالجهاد. وقد كن يسرن في الحرب حاملات أواني الماء وما يحتجن إليه لتضميد الجروح من لفائف وللكسور من جبائر. أطلق العرب اسم الآسيات أو الأواس على النساء العربيات اللواتي كن يقمن بتضميد الجراح وتجبير العظام والوقاية من النزف وغير ذلك من أعمال الإسعاف وسميت بذلك الاسم لأنهن كن يواسين المرضى والجرحى ويقمن برعايتهم نفسيا، وجدانيا وجسديا وهي غاية ما يصبو اليه التمريض بمفهومه الجديد.

وقد كانت النساء في غزوات الرسول (ص) أو الحروب جنبا إلى جنب مع الرجال يقمن بالرعاية والإسعاف للجرحى منهن: رفيدة بنت سعد الأسلمية أول ممرضة في الإسلام التي اختارها الرسول(ص) لتقوم بالعناية الطبية في خيمة متنقلة. وقد أقامت خيمة بأمر النبي محمدً(ص) لمداواة الجرحى وتعتبر نواة البيمارستانات "المستشفيات" في الإسلام وقد تبعتها أختها "كعيبة" وكان لها خيمة تداوي فيها الجرحى. كما كانت أميمة بنت معوذ تسقي القوم وتخدمهم وتداوي الجرحى، وقد اشتهرت أم عطية الأنصارية بالجراحة، وقد أبدت شجاعة منقطعة النظير وكانت تحمل الجرحى وتعود بهم حيث تمرض جراحهم وهذا على سبيل المثال وليس الحصر (ملحق 1).

- **التمريض في عصر الدولة الإسلامية:**

بعد انشاء الإمبراطورية الإسلامية التي امتدت من أسبانيا إلى الصين ظهر تحسنا وتقدما في علوم المعالجة والكيمياء والنظافة وعلم الصحة والصيدلة والعقاقير، ونشر المسلمون الخدمات الصحية في الريف وأقاموا مستوصفات متنقلة وعملوا معجما للأدوية واستعملوا المخدرات في الجراحة وتخصصوا في جراحة العيون. ازدهرت المستشفيات في العصرين الأموي والعباسي، وبني أول بيمارستان في العصر الأموي وكانت هيئة العاملين مدربة من الرجال والنساء. وكانت المستشفيات مقسمة إلى أقسام حسب الأمراض وقد وصل الطب الى مرتبة عالية من التطور حتى أن الصليبين أخذوا نظام الطب والمستشفيات من العرب. وقد قام الجراحون في ذلك الوقت بأصعب عمليات العيون وعمليات الغدة الدرقية،' كما استعملوا بخار بعض النباتات للتخدير، كما كان لهم معرفة واسعة بطب الأسنان مع أن المعتقد أن طب الأسنان علم حديث. وما نريد تقديمه أن كل تطور في الطب رافقه تطور في التمريض لأنهما متلازمان.

- **التمريض في العصور الحديثة:**

بزغت في فجر القرن التاسع عشر العديد من المشاكل والتغيرات الاجتماعية التي أثرت على مهنة التمريض ودور الممرضة، فالثورة الصناعية والتضخم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وما رافقه من فقر وزيادة عدد ساعات عمل المرأة وابتعادها عن أطفالها والاصابة بالأمراض المختلفة أدى الى

زيادة الحاجة الى ممرضات صحة المجتمع وزاد التركيز على أهمية التأهيل العلمي الجيد لهؤلاء الممرضات. ومع الأسف لم تبتعد الممرضات في هذه الفترة أيضا عن تأثير التدين وبقيت صورة التمريض مرتبطة ومعتمدة على الاستعداد الروحي للتضحية في سبيل العناية بالآخرين مما أعطى سمات غير محبذة لشخصية الممرضات في ذلك العهد فقد كن من الفقيرات المعدمات أو اللواتي يردن التكفير عن خطاياهن وذنوبهن بالعمل الانساني.

يمكن اعتبار فلورانس ناينتجل مؤسسة التمريض الحديث، فقد ولدت في بداية القرن التاسع عشر 1820 في ايطاليا من عائلة انكليزية غنية وذات مكانة في المجتمع، وحصلت على تعليم ممتاز وغير عادي وكانت لديها رغبة شديدة في مساعدة الآخرين فاختارت طريق التمريض. قبل عهد ناينتجل كان تعريف التمريض منحصرا بالمرأة الحنون التي تعتني بالطفل والمسن والمرأة والعاجز كجزء من واجباتها المنزلية، ولكن بتولي ناينتجل مهام وضع أسس وقواعد الممارسة العملية والتعليمية للتمريض تغير مفهوم التمريض ليصبح مهتما أكثر بالعناية المتكاملة بالمريض جسديا ونفسيا واجتماعيا. عملت ناينتجل على تطوير مهنة التمريض من خلال حث العاملين به على الاهتمام بنوعية غذاء المريض ونقاء هوائه وبالبيئة واصحاحها. ووضعت شعارها الخالد "أيتها الممرضة اعتن بالمريض وليس بمرضه". وبذلك وضعت التمريض على سلم الرقي المهني حيث كانت تؤمن بأن التمريض لا يمكن أن يتطور أطلاقا الا اذا اجريت تغيرات جذرية على أسس قبول المتقدمات الى مدارس وكليات التمريض، وعلى الرغم من معارضة عائلتها لرغبتها أن تكون ممرضة إلا أنها تدربت فقامت بجولات في مستشفيات أوروبا لمدة سنتين ساعدتها على جمع المعلومات المتعلقة بالتمريض وقد عادت الى انجلترا بعد انتهاء حرب القرم 1845 وقامت بتأسيس معهدا للتمريض سمي باسمها 1860 وألحق بمستشفى سانت توماس بلندن ولقد أصبحت خبيرة عالمية في شؤون التمريض. وقد ساعدها بجانب شخصيتها وتصميمها وايمانها، عدة ظروف، وهي حركات تحرير المرأة والمطالبة بتعليمها والتقدم الكبير في العلوم الطبيعية والتحول الذي طرأ على المستشفيات.

وأخذ التمريض يناضل ليأخذ مكانه وليصبح فنا ومهنة محترمة حتى شرع أول قانون للتمريض في عام 1919 في انكلترا منع بموجبه ممارسة مهنة التمريض لمن لا يحصل على موافقة رسمية بذلك. وقد تضمن هذا القانون مادة تدعو الى تأسيس مجلس أعلى للتمريض يحدد اللوائح والقوانين

الخاصة بالمهنة. ثم بدأت المجلات العلمية المتخصصة في التمريض حيث ظهرت مجلة التمريض الأمريكية عام 1900 وكانت أول مجلة متخصصة في التمريض في العالم. ظهر حجر الأساس في تطور التمريض عام 1923 عندما نشر تقرير قاعدة جولد مارك حول تقديم دعم مالي كبير للجامعات التي تنشئ كليات للتمريض فيها بحيث ينقل تعليم التمريض من المستشفيات الى الجامعات، فانتشرت مدارس التمريض في جميع أنحاء العالم حتى أصبحت كليات ومعاهد عليا في معظم البلدان المتقدمة.

في النصف الأول من القرن العشرين تطور التمريض بشكل كبير فقد ظهرت الجمعيات المهنية كجمعية التمريض الأمريكية وجمعية التمريض الكندية، حيث قامت جمعية التمريض الأمريكية 1980 بوصف الاطار الاجتماعي للتمريض وتعريف طبيعة العمل التمريضي وذلك بعد عدة سنوات من البحث والدراسة والتحدي لإظهار التمريض كمهنة مستقلة بعلومها ونظرياتها المتعددة التي تستخدم الطريقة العلمية في وصف وشرح والتنبؤ بالممارسات التمريضية وآثارها وذلك لمد المجتمعات باستقلالية التمريض كمهنة وأهميته بالنسبة للمجتمع (ملحق 2). وبظهور الاكتشافات العلمية الهامة والتطور الهائل الذي طرأ على وسائل الاتصال وجمع المعلومات وعلى أساليب التعليم في النصف الثاني من القرن العشرين، تطور التمريض تطورا هائلا في الجوانب التعليمية والعملية والادارية والبحثية. فقد ظهرت برامج للدراسات العليا في التمريض المتخصص في العديد من الجامعات العريقة، وظهرت كذلك النظريات التمريضية التي اعتبرت فيما بعد أساسا لمهنة التمريض واعتباره مهنة مستقلة بذاتها بعيدا عن الطب والعلوم الاجتماعية الأخرى. يبين الجدول التالي أهم مراحل تطور التمريض عبر العصور المختلفة ومقارنته بما وصل اليه في العصر الحالي.

العصر	في ذلك الوقت	حاليا
500-1	• كانت العناية التمريضية موجهة نحو تلبية متطلبات النظافة الشخصية للأفراد والعائلات. • كانت العناية التمريضية تقدم عن طريق الكنيسة والعاملين فيها	• التمريض حاليا يرتبط بدرجة عالية من المهارات التقنية والمعلومات العلمية

1836	• افتتح ثيودور فلندر مستشفى صغير في ألمانيا حيث تلقت فلورانس ناينتجل تعليمها التمريضي	• انتقل تعليم التمريض من المستشفيات الى الجامعات
1873	• افتتح أول ثلاث كليات تمريض في الولايات المتحدة	• استمر افتتاح كليات التمريض في مختلف أنحاء العالم
1899	• تأسيس المجلس العالمي للتمريض	• استمر المجلس العالمي للتمريض بالاهتمام بقضايا التمريض في العالم
1900	• صدور مجلة التمريض الأمريكية كأول مجلة عالمية للتمريض	• أكثر من مائة مجلة متخصصة في التمريض في كافة أنحاء العالم
1985	• افتتاح المركز القومي لأبحاث التمريض في الولايات المتحدة الأمريكية في ميرلاند	• اسهامات هذا المركز في تقدم وتطور مهنة التمريض كثيرة ويصعب احصاؤها
1994	• ظهور أهمية التمريض في عملية اصلاح نظام العناية الصحية في العالم	• ازدياد أهمية دور التمريض في نظام العناية الصحية العالمي